

تفسير البحر المحيط

@ 233 @ الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو . وقال النقاش : إنما سأل لما سمع وعظ مؤمن آل فرعون { ءَامَنَ يَا قَومِ - إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَثُلاً يَوْمِ - } الآية فرد علم ذلك إلى الله لأنه لم يكن نزلت عليه التوراة . وقيل لما قال { إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَنَّانٌ } الآية فرد علم ذلك إلى الله لأنه لم يكن نزلت عليه التوراة . وقيل لما قال فرعون { فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى } فإنها كذبت ثم إنهم ما عذبوا . وقيل : لما قرر أمر المبدأ والدلالة القاطعة على إثبات الصانع قال فرعون : إن كان ما ذكرت في غاية الظهور فما بال القرون الأولى نسوه وتركوه ، فلو كانت الدلالة واضحة وجب على القرون الماضية أن لا يكونوا غافلين عنها . فعارض الحجة النقلية ، ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في إحاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال : ما تقول في سؤالي القرون وتمادي كثرتهم وتباعد أطراف عددهم ، كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم ، فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده { فِي كِتَابٍ } ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل ، أي { لَا يَضِلُّ } كما تضل أنت { وَلَا يَنْسَى } كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة قاله الزمخشري . .

والظاهر عود الضمير في { عَلِمَهُمْ } إلى { الْقُرُونِ الْأُولَى } أي مكتوب عند ربي في اللوح المحفوظ لا يجوز عليه أن يخطئه شيئاً أو ينساه ، يقال : ضللت الشيء إذا أخطأته فمكانه ، وضللته لغتان فلم يهتد إليه كقولك : ضللت الطريق والمنزل ولا يقال أضلته إلا إذا ضاع منك كالدابة إذا انفلتت وشبهها قاله الفراء . وقال الزجاج : ضلته أضله إذا جعلته في مكان ولم تدر أين هو ، وأضلته والكتاب هنا اللوح المحفوظ . وقيل { فِي كِتَابٍ } فيما كتبه الملائكة من أحوال البشر . وقيل : الضمير في { عَلِمَهُمْ } عائذ على القيامة لأنه سأله عن بعث الأمم . وقال السدسي { لَا يَضِلُّ } لا يغفل . وقال ابن عيسى { لَا يَضِلُّ } لا يذهب عليه تقول العرب ضل منزله بغير ألف . وفي الحيوان أضل بغيره بالألف . وقيل : التقدير { لَا يَضِلُّ رَبِّي } الكتاب { وَلَا يَنْسَى } ما فيه قاله مقاتل . وقال القفال { لَا يَضِلُّ } عن معرفة الأشياء فيحيط بكل المعلومات { وَلَا يَنْسَى } إشارة إلى بقاء ذلك العلم أبد الآباد على حاله لا يتغير . وقال الحسن : لا يخطئه وقت البعث ولا ينساه . .

وقال مجاهد : معنى الجملتين واحد وهو إشارة إلى أنه لا يعرض في علمه ما غيره . وقال ابن جرير : لا يخطيء في التدبير فيعتقد في غير الصواب صواباً وإذا عرفه لا ينساه ، وقال

أبو عبد الله الرازي : علم الله صفة قائمة به ولا تكون حاصلة في الكتاب لأن ذلك لا يعقل ، فالمعنى أن بقاء تلك المعلومات في علمه كبقاء المكتوبات في الكتاب ، فالغرض التوكيد بأن أسرارها معلومة له لا يزول شيء منها ، ويتأكد هذا بقوله { لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى } أو المعنى أنه أثبت تلك الأحكام في كتاب عنده يظهر للملائكة زيادة لهم في الاستدلال على أنه عالم بكل المعلومات منزّه عن السهو والغفلة انتهى . وفيه بعض تلخيص . . .

وقرأ الحسن وقتادة والجدي وحامد بن سلمة وابن محيصن وعيسى الثقفي لا يضلُّ ربِّي ولا يَنسَى أي { لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى } ذلك الكتاب فيضيع { وَلَا يَنسَى } ما أثبتته فيه . وقرأ السلمي لا يضلُّ ربِّي ولا يَنسَى مبنيتين للمفعول ، والظاهر أن الجملتين استئناف وإخبار عنه تعالى بانتفاء هاتين الصفتين عنه . وقيل : هما في موضع وصف لقوله { فِي كِتَابٍ } والضمير العائد على الموصوف محذوف أي لا يضلُّه ربي ولا ينساه . والظاهر أن الضمير في { وَلَا يَنسَى } عائد على الله . وقيل : يحتمل أن يعود على { كِتَابٍ } أي لا يدع شيئاً فالنسيان استعارة كما قال { إِلَّا أَصْحَافًا } فأسند الإحصاء إليه من حيث الحصر فيه ، وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه . . .

{ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ * مِهَادًا * وَسَلَّكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا * وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى * كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّوَلِيٍّ * لَّا وَلِيَ الذُّهُبَ * مِنذُهَا خَلَقْنَاكُمْ * وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ * وَمِنْذُهَا نُخْرِجُكُمْ * تَارَةً أُخْرَى * وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى * قَالَ أَجِئْتَنَا لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَن يُخْشَرَ النَّاسُ ضُحًى * فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى * قَالَ لَهُمُ مُّوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهَ كَذِبًا * فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى * فَتَنَّا زَعْوًا أَمْ لَهُمْ آمُرَهُمُ بِمَا يَنْهَاهُمْ * وَأَسْرُسُّوهُمُ النَّجْوَى * قَالَوْا إِنَّ هَٰذَا نِدَانُ لِّلسَّاحِرِينَ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم }